ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

The Rhetorical Context of Sleep Verses In the Discourse of the Holy Quran

Lect. Dr. Shaymaa Ahmed Mohammed

University of Mosul - College of Arts

* *Corresponding author: E-mail* :
shaymaa.a.m@uomosul.edu.iq
07738496629

***Keywords*:**
Context
Rhetoric
Sleep
Slumber
Hibernation

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 30 Jan. 2022
Accepted 21 Feb 2022
Available online 19 Dec 2022
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2022 COLLEGE OF Education for Human Sciences, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The phenomenon of sleep has been considered one of the great proof and secrets of Almighty Allah in His creation, showing His power and the greatness of His working in them. It is a great blessing from the Almighty to them, for it is one of the necessities of their lives and an inherent feature of it.

Because of this great proof given by Allah to His worshippers, the aim of this study is to shed light on this wonderful phenomenon by focusing on the rhetorical context of the verses in which the word sleep and its meanings, types and phases are mentioned in the Holy Qur'an. It also aims to show the accuracy of the Qur'anic texts use of this word in order to deduce its intended meaning in the light of the textual relationships and structures that link the individual words of the Qur'an with the formative sentences of its texts and the context.

The meanings and types of sleep have been characterized by different words depending on the stages at which it occurs. For example, nap refers to the beginning of sleep, while the word drowsiness refers to its onset. Also, slumber refers to intermittent sleep, while rest refers to long sleep, and nap refers to sleep in the middle of the day. Finally, the phrase “sleep is death” is used for souls whose time is not come yet to leave life.

The study focused on an introduction to the definition of context, linguistic and idiomatic, and the importance of the Qur'anic context. It explained the definition of the phenomenon of sleep, both linguistically and idiomatically, and its meanings, types and stages within the verses in which it is mentioned. The requirements of this study were subjective, and the titles were inspired by the verses themselves: "sleep, hibernation, drowsiness, remission, slumber, siesta and death" in the Qur'an.

The study traced the theme of sleep and its meanings in Quranic contexts. It focused on the rhetorical use of vocabulary, phrases and full texts in the context of general discourse. It highlighted the main findings that the research arrived at.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.12.2.2022.03

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

السياق البلاغي لآيات النوم في الخطاب القرآني

م. د. شيماء أحمد محمد/ جامعة الموصل – كلية الآداب

الخلاصة:

تعد ظاهرة النوم آية من آيات الله وأسراره العظيمة في خلقه، تدل على قدرته وعظيم صنعه فيهم، وهي نعمة عظيمة من نعمه تعالى عليهم، لأنها ضرورة من ضرورات حياتهم، وصفة ملازمة لها.

ولعظيم هذه الآية والنعمة التي منَّ الله ﷻ بها على عباده جاء البحث ليسلط الضوء على هذه الظاهرة العجيبة عن طريق الوقوف على السياق البلاغي للآيات التي وردت فيها لفظة النوم ومعانيه

وأنواعه ومراحله في القرآن الكريم وبيان دقة استعمال نصوص القرآن له وتوظيفه للاستدلال على المعنى المراد منه في ضوء العلاقات والتراكيب النصية التي ربطت ألفاظ القرآن المفردة بجمله المكونة لنصوصه والمكونة لسياقه في اطاره العام.

وتمثلت معاني النوم وأنواعه ومراحله بالسنة التي تطلق على مقدمة النوم، والنعاس الذي يطلق على بدايته، والهجوع الذي يطلق على النوم المتقطع، والرقود الذي يطلق على النوم الطويل، والقيلولة التي تطلق على النوم في منتصف النهار، والوفاة الصغرى عند المنام للأنفس التي لم تستكمل أجلها الذي قدره الله تعالى لها.

وانعقدت دراسة البحث على مدخل للتعريف بالسياق لغة واصطلاحاً والتطرق إلى بيان أهمية السياق القرآني، وثم التعريف بظاهرة النوم لغة واصطلاحاً، وبيان معانيه وأنواعه ومراحله ضمن الآيات التي وردت فيها، فجاءت مطالب البحث موضوعية استلهمت عنواناتها من الآيات الكريمة نفسها، حيث وسمت المطالب بـ (السنة والنوم والسبات والنعاس والهجوع والرقاد والقيلولة والوفاة) في الخطاب القرآني.

وتتبعت الدراسة مادة النوم ومعانيها في السياقات القرآنية التي وردت فيها، والوقوف على التوظيف البلاغي لمفرداتها وجملها ونصوصها كاملة ضمن اطار سياقها العام المكون لها، وصولاً لتسجيل أهم النتائج التي خلص البحث إليها.

الكلمات المفتاحية: سياق – بلاغة – نوم – سبات – سنة

المدخل

السياق لغةً واصطلاحاً

السياق لغة:

لنقف على تعريف وحدٍّ لغوي دقيق لمادة السياق لا بد لنا من تتبعها في بعض المعاجم اللغوية واستخلاصه منها.

حيث ورد عن الجوهري: "يقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد، أي بعضهم على أثر بعض، ليست بينهم جارية"[1].

وقال أبن فارس: "السين والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو حدو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقاً، والسيقة ما استيق من الدواب، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته، والسّوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وجمعه سوق، إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"[2].

وورد عن أبن منظور: "السوق معروف ساق الأبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً .... وانساقت الأبل وتساوقت تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة"[3].

والسياق عند الفيروزآبادي هو: "المهر ..... والمنساق: التابع والقريب، ومن الجبال: المنقاد طولاً، وساوقه: فاخره في السوق، وتساوقت الأبل: تتابعت وتقاودت"[4].

وعند الراغب الأصفهاني: "سوق الأبل جلبها وطردها يقال سقته فانساق، والسيقة: ما يساق من الدواب، ورجل أسوقٌ، وامرأة سوقاء بينة السوق، أي عظيمة الساق، والسوق الموضع الذي يجلب إليه المتاع للبيع"[5].

ولو دققنا النظر في طروحات اللغويين السابقة نستنتج منها أن لفظة السياق يدور معناها حول ذلك التتابع والاتصال والاطلاق والتراسل والانقياد، والتقارب، ويمكن حدِّه بأنه يدل على تتابع منتظم في الحركة توصل إلى نهاية معينة دون انفصال[6].

السياق اصطلاحا:

تعددت وتنوعت التعريفات الاصطلاحية للسياق، ولا بد من الوقوف على بعضها للوصول إلى حدِّ دقيق وجامع مستخلص منها.

حيث عرفه أبن دقيق العيد بقوله: "السياق والقرائن فأنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"[7].

وورد عند حسن العطار بأن "قرينة السياق هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه"[8].

وأشار ابن الأنباري إلى السياق بقوله: "أنَّ كلام العرب يصحِّح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه"[9].

وعرفه المثنى عبدالفتاح محمود بأنه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبليغ غايتها الموضوعية في المعنى دون انقطاع أو انفصال، أي أن مصطلح السياق يشمل الأجزاء التي تسبق النص أو التي تليه ليتمكن المتلقي من خلالها الوصول إلى المعنى المراد"[10].

مما سبق يمكن أن نحدَّ السياق بأنه بناء نصي متكامل مترابط الأجزاء بعلاقاتها مع ما قبلها وما بعدها ضمن اطار النص العام، وللسياق قرائن وأنماط نحوية ولغوية ومعجمية وبيانية وصوتية وصرفية، فضلاً عن أنماطه الزمانية والمكانية والتاريخية والاجتماعية[11].

وقد شبه جون لاينز أنماط السياق وعلاقاته وقرائنه بنسيج العنكبوت الواسع متعدد الأبعاد يمثل كل خيط فيه هذه العلاقات والأنماط، وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة وأنه لا يمكن اعطاء معنى كلمة من دون وضعها في نص، أي أن السياق يعتمد على تجميع الكلمات مع بعض وترابط أجزائها السابقة واللاحقة وتتابعها بحيث توحي إلى المعنى المراد وهي مجتمعة ضمن الاطار العام للنص[12].

والنص القرآني ثري بمدلولاته، وغني بتعدد أنماط سياقه الذي تكمن أهميته في فهم نصوصه الكريمة، وتحديد معاني ألفاظها، وضبط دلالاتها، إذ إن تحديد المفردة يعود إلى ترابطها وعلاقتها مع سابقها ولاحقها، فضلاً عن أهمية السياق تكمن في معرفة الظروف المحيطة بالنص القرآني وأحوال المخاطبين فيه، وربط الكلام بمقام استعماله، وما جاء فيه من تراكيب وأبنية للجمل وما صاحبها من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وحقيقة ومجاز وغيرها من طريق البلاغة[13].

وسنسلط في دراستنا هذه الضوء على السياق البلاغي لآيات النوم في القرآن الكريم والوقوف على معاني ومراحل وأنواع النوم، وتوظيف الفنون البلاغية فيها للوصول إلى المعنى المراد منها، وتوضيح دقة الاستعمال القرآني لها.

النوم لغةً واصطلاحاً

النوم لغةً:

"النوم مصدر من الفعل نام ينام نوماً ونياماً ومناماً"[14].

وورد عن ابن منظور بأن النوم "من الفعل الماضي نام ومضارعه ينام، ومصدره نوماً ونياماً، والاسم منه النيمة، وهو نائم إذا رقد في فراشه، ورجل نائم ونؤوم كثير النوم فهو من قوم نيام ونوَّم، ويقال: رجل نومٌ، وللجمع قومٌ نوَّمٌ، ورجل نومان كثير النوم، واستنام وتناوم طلب النوم شهوة للنوم، وأخذه نوامٌ مثل السبات يكون من مرض أصابه، وأخذه نوم (بضم النون) إذا جعل النوم يعتريه، وتناوم الرجل إذا أرى من نفسه أنه نائم وليس به"[15].

وهو عند الفيروزآبادي "نائمٌ ونؤومٌ ونومةٌ، وامرأة نؤومٌ ونائمةٌ، والجمع نيام ونوَّمٌ ونيَّمٌ ونوّام ونيامٌ ونومٌ أو هو اسم جمع، ورجل نومةٌ ونويمٌ ونومان: كثير النوم، وامرأةٌ نومى، وقومٌ نيامٌ ونوَّمٌ، ونيَّمٌ، واستنام: أي تناوم شهوة للنوم، ويقال: يا نومان لكثير النوم، ولا تقل رجل نومان، لأنه يختص بالنداء، والمنام والمنامة موضعه"[16].

النوم اصطلاحاً:

عرفه الجرجاني بأنه: "حالة طبيعية تتعطل معها القوى بسبب ترقي البخارات إلى الدماغ"[17].

وعرفه الراغب الأصفهاني بأنه: "استرخاء أعصاب الدماغ برطوبة البخار الصاعد إليه"[18].

وعرفه أحمد بن محمد المقري الفيومي بأنه: " غشيةٌ ثقيلةٌ تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء، ولهذا قيل: هو آفة، لأنَّ النوم أخو الموت، وقيل الموت مزيل للقوة والعقل"[19].

وعرفه أبن عاشور بأنه: "فتور يعتري أعصاب الدماغ، من تعب أعمال الأعصاب من تصاعد الأبخرة البدنية الناشئة عن الهضم والعمل العصبي، فيشتد عند مغيب الشمس ومجيء الظلمة، فيطلب الدماغ والجهاز العصبي الذي يدبّره الدماغ استراحةً طبيعية، فيغيب الحس شيئاً فشيئاً وتثقل حركة الأعضاء، ثم يغيب الحس إلى أن تسترجع الأعصاب نشاطها، فتكون اليقظة"[20].

فالنوم هو السكن والراحة والهدوء والطمأنينة التي تغشى القلب والجسد بعد التعب والمشقة في اليقظة.

السنة والنوم في الخطاب القرآني

قَالَ تَعَالَى: " ﴿ المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس ﴾" البقرة: ٢٥٥

تعد آية الكرسي أعظم آية وردت في القرآن الكريم لما جُمع فها من أصول الأَسماء والصفات الألهية والوحدانية والحياة والقيومية والعلم ، والأحاطة والملك والقدرة والعظمة والأرادة، فقد اشتملت على موضوعات توحيد وتعظيم وتمجيد الله ﷻ وتمجيد صفاته العلا فضلاً عن تضمنها أسس وقواعد الايمان وأركان العقيدة المتكاملة فحريٌ بكل مؤمن أن يفخر ويعتز بها فقد رفع الله تعالى شأنها في بدايتها باسمه وختمها باسمه.

تضمنت الآية الكريمة عشر جُملٍ مستقلة مرتبة من غير حرف عطف لخمس معانٍ أشار إليها الزمخشري بقوله: "ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتب عليه ، والبيان متحد بالمبين ، فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب: "بين العصا ولحائها" فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق

وكونه مهيمناً عليه غير ساهٍ عنه ، والثانية لكونه مالكاً لما يدبره ، والثالثة لكبرياء شأنه ، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى ، والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلالهِ وعظم قدرته"[21].

وعند تتبعنا الدقيق لجمل الآية الكريمة يطالعنا سياق بلاغي معجز فيها يمكن أن نقف على أبرز معالمه ، إذ بدئت الآية الكريمة بحسن افتتاح لحال الكلام الوارد فيها ، إذ لما كانت آية الكرسي أعظم ما ورد في القرآن الكريم ناسب افتتاحها بأجل وأعظم أسماء الله تعالى ، وتكمن براعة الاستهلال هنا عند الافتتاح باسم ذات الله تعالى لأنه أول ما يطرق أسماع المتلقين وينساب إلى قلوبهم وقد "جيء باسم الذات هنا لأنه أظهر طريق في الدلالة على المسمى المنفرد بهذا الاسم ، فإن العلم أعرف المعارف لعدم احتياجه في الدلالة على مسماه إلى قرينة أو معونة لولا احتمال تعدد التسمية فلما انتفى هذا الاحتمال في اسم الجلالة كان أعرف المعارف لا محالة لاستغنائه عن القرآئن والمعونات"[22].

وأتبع حسن الافتتاح باسم ذات الله بالاخبار عن وحدانيته تعالى في قوله: (لا إله إلا هو الحي القيوم) وثمة قصر حقيقي في هذه الجملة ، حيث قصرت الألوهية عليه سبحانه لا تتعداه إلى سواه فجاء التعبير باسم العلم للذات الالهية في خطاب موجه للناس عامة وعدل عن التعبير بـ (الهكم أو ربكم) لا إله إلا هو دفعاً من أن يكون الخطاب موجهاً للمسلمين خاصة ، وتعريف لفظة (الحي) فيه اشارة إلى القصر وكمال صفة الحياة ، إذ لو لم يعرف لعدَّ (سبحانه) من جملة الأحياء ولكنه (تعالى) هو الحي حقيقة لا يصح عليه الموت[23]، ولا حي غيره فكل حي سواه مصيره النهاية والزوال ، كما أن تعريف القيومية فيه اشارة إلى حصرها على الله تعالى دون سواه فلفظة (القيوم) هي صيغة مبالغة تعني: "أن الله القائم بتدبير أمر خلقه في انشائهم ورزقهم وعلمه بأمكنتهم"[24]، وتقديم (الحي) على (القيوم) فيه اثبات ضرورة صفة الحياة للألله فقدم ذكرها على قدرته وتدبير شؤون خلقه ابطالاً لمن يدعي الألوهية والربوبية ، كما أفادت الجملة الاسمية الثبوت والدوام للحي الدائم الذي لا يموت ولا يزول ملكه.

وفي قوله تعالى: (لا تأخذه سنة ولا نوم) جيء بلفظتي (سنة ، نوم) نكرتان لافادة التقليل والتحقير فالله ﷻ لا يعتريه أي منهما ولو قلَّ ، والسنة: هي مصدر من الفعل وسن يوسن وسناً أو سنةً وهي النعاس من غير نوم ومبدأ النوم وأوله ومقدمته ، وهي نعاس يبدأ في الرأس فإذا صار إلى القلب فهو نوم[25]، أما النوم: "لفظة أصلها النون والواو والميم ، وهي أصل صحيح تدل على الجمود والسكون وعدم الحركة ، ومنه النوم ، نام ، ينام ، نوماً ومناماً"[26]، "والنوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبة البخار الصاعد إليه"[27]، والله ﷻ نزه ذاته العلية عن هاتين الصفتين بنفيهما مطلقاً عنه وعبّر بفعل مضارع منفي بـ (لا) لأفادة تأكيد استمرار وتجدد نفيهما عنه (تعالى) فالجملة هنا تقرير وتأكيد لجملة ما قبلها (الحي القيوم) وهي بيان لها لذلك فصلت عنها وتقديم السِّنة على النوم في الآية الكريمة فيه ترقٍ لطيف يستدل عليه بلفظة (تأخذه) وهي بمعنى الغلبة والقهر والاستيلاء[28]، فمن لا تقهره السِّنة يقهره النوم لذلك

ترقى من ذكر نفي السِّنة وهي الأضعف إلى نفي النوم وهو الأقوى ، وفائدة تكرار (لا) للتنصيص على انتقاء كل منهما لوحده ، ولو اجتمعتا بدون تكرار حرف النفي لحملا على نفيهما وهما مجتمعين وانعدام نفيهما عند الافراد فقد تأخذه السنة دون النوم أو العكس وهذا لا يجوز في حقه تعالى، وجملة (لا تأخذه سنة ولا نوم) مجاز مرسل علاقته سببية إذ تجوز باطلاق السبب (السنة والنوم) عن المسبب وهو (الغفلة) لأنه سببها أي أن الله ﷻ لا يغفل عن دقيق وجليل.

وعدل في قوله تعالى: (له ما في السموات وما في الأرض) عن استعمال (من) التي تخص (العاقل) إلى (ما) لشمول العاقل وغيره من المخلوقات ، كما قدم المسند له على المسند إليه (ما في السموات وما في الأرض) لحصر ملكيتهما وسائر الموجودات به وقصرها عليه ولا أحد سواه يشاركه فيها.

وجملة (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) تقرير وتوكيد لمعنى قوله تعالى: (له ما في السموات وما في الأرض) حيث تضمنت معنى الاستفهام الانكاري الذي نستشف منه أبلغ اللمسات البيانية فهو استفهام فيه تعظيم للمستفهم عنه لما يحمل من معاني النفي والانكار والاستحالة والتحدي لأنه لا توجد شفاعة بغير إذن الله تعالى، فضلاً عن تضمنه زيادة (ذا) في مبناه (من ذا) الذي تقابله زيادة وقوة في معناه لجملة معنى الاستفهام والاشارة معاً، حيث ناسبت زيادة اسم الاشارة (ذا) توكيد وتعظيم الشفاعة باذن الله تعالى، وتحقير من يدعيهما بغير إذنه، والله تعالى لا يأذن بشفاعة إلا عن كمال علمه بأحوال خلقه لذلك أتبعت جملة الأذن بالشفاعة بقوله تعالى: (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) فالجملة استئناف بياني لما يوجب إذن ورضا الله ﷻ عن عباده المسموح لهم بالشفاعة التي تجري بما يستدعيه علم الله تعالى بحال خلقه وأعمالهم ظاهرها وباطنها التي عبر عنها بـ (ما بين أيديهم وما خلفهم) في كناية لطيفة عن اعمالهم الظاهرة والخفية وذيلت الجملة بـ (ولا يحيطون) لتأكيد مضمون ما قبلها الممثل بعظمة وسعة علم الباري ﷻ، وجيء بلفظة (شيء) نكرة لإفادة معنى تحقير وضآلة علم مخلوقاته.

وثمة لطيفة بلاغية نستشفها من ورود الأفعال (تأخذه ، يشفع ، يعلم ، يحيطون) بصيغة المضارعة في الآية الكريمة لأفادة الاستمرارية والدوام ، إلا أنه ورد الفعل (وسع) بصيغة الماضي في قوله تعالى: (وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما) للتأكيد على حصول سعته فعلاً، "والكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه، وهو ما تعرفه العرب من كراسي الملوك[29].

واستعير هنا لعلم الله وملكه وقدرته وعظمته وما يستدعيه كرسي الملك من معاني العظمة، اذ حذف هذا المشبه، وذكر المشبه به (الكرسي) على سبيل الاستعارة التصريحية ، ثم جيء بـ (لا) مع الفعل المضارع (لا يؤده) لأفاد اطلاق هذه الصفة لله تعالى باستمرار ودوام الحال والاستقبال ، ولفظة (يؤده)

من الأود بمعنى الثقل والمشقة[30]، فنفي ثقل ومشقة حفظ السموات والأرض عن الله ﷻ، والضمير في يؤده عائد على الله تعالى ومؤكدا لما سبقه وما بعده.

ولما افتتحت آية الكرسي ببراعة استهلال بذكر اسمين عظيمين من أسماء الله ﷻ ذيلت في ختامها باسمين عظيمين من أسمائه تعالى في قوله (وهو العلي العظيم) وجيء بهما معرفتين لأفادة قصرهما على الله ﷻ دون غيره، فضلاً عن أن ذكر الكرسي في الآية الكريمة فيه دلالة العلو والعظمة فناسب التذييل بهما.

السبات في الخطاب القرآني

قَالَ تَعَالَىٰ: "﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾" الفرقان: ٤٧

الآية الكريمة متصلة بما قبلها في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّجِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ الفرقان: ٤٥ – ٤٦، إذ نلحظ تلويناً وتنويعاً جمالياً في الخطاب القرآني ممثلاً بأسلوب التفات لطيف يشد الأنتباه ويسترعي التفكير بخلق الله تعالى، حيث عدل من ضمير الغيبة في (ألم ترَّ) إلى ضمير المتكلم العظيم (ثم جعلنا) رجوعاً إلى ضمير الغيبة (وهو الذي جعل) وأفاد هذا التنوع الجمالي اظهار عظمة الخالق ﷻ وتقديره البديع، فضلاً عن اظهار امتنانه العظيم على خلقه في اتقان خلق السماوات والأرض، واتقان وظائفهما من حركة الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ليتعاقب الليل والنهار، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور في قوله: "جمعت الآية استدلالاً وامتناناً ... فإن في إختلاف الليل والنهار آيات لما يدل عليه حصول الظلمة من دقة نظام دوران الأرض حول الشمس .... ولما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض .... ثم ما في ذلك من نظام النوم المناسب للظلمة حين ترتخي أعصاب الناس فيحصل لهم بالنوم تجدد نشاطهم، ومن الاستعانة على التستر بظلمة الليل ومن نظام النهار من تجدد النشاط وانبعاث الناس للعمل وسآمتهم من الدعة"[31].

وعبر عن نظام الاختلاف والتعاقب في الآية الكريمة بجمل ذات سياق بلاغي بديع، ففي جملة (جعل لكم الليل لباساً) تشبيه بليغ حذف منه الأداة ووجه الشبه، حيث شبه الليل باللباس الذي يستر العورات، فأصل اللباس هو "ما يستر الجسم، ولباس كلَّ شيءٍ غشاؤه"[32]، فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته جعل كاللباس لهم.

وعند تتبعنا لمعنى لفظة السبات في جملة (النوم سباتاً) نجد أن أصل السبات هو من "السبت وهو القطع ومنه سبت السير قطعه"[33]، "والسبت القطع أي إذا نام انقطع عن الناس، وسبت يسبت سبتاً: استراح وسكن، والسبات نوم خفيٌّ كالغشية والمسبوت: الميت والمغشي عليه"[34]، فتعددت معاني السبت

إذ دلت على الانقطاع عن الناس للراحة والسكن، والنوم الخفيف، والموت، وهذا يقتضي وجهين بلاغيين في الجملة، فإذا حمل معنى السبات على الموت فقد شبه النوم به على سبيل التشبيه البليغ الذي حذف منه الأداة ووجه الشبه، أي جعل النوم كالموت، وإذا حمل على معنى النوم الخفيف الذي لا يشوبه إزعاج عدَّ مجازاً مرسلاً علاقته اللازمية، لأنه أطلق لفظة السبات وأراد لازمه من النوم وهي الراحة والهدوء، والانقطاع عن كل ازعاج فسمي السبات باسم لازمه.

وثمة مقابلة لطيفة بين جملتي (النوم سباتاً) و (النهار نشوراً)، والنشور مصدره نشرت الثوب انشره نشراً، واستعير لنشر الله الميت، ونشر الله الميت أحياه وبعثه[35]، فشبه انتشار الخلق في النهار طلباً للرزق والكسب بعد انقضاء نومهم ببعثهم بعد مماتهم على سبيل التشبيه البليغ أيضاً.

وإذا أمعنا النظر في الآية الكريمة نجد أن السبات ذكر فيها أولاً ليدل على الحركة والانتشار ثانياً، كما ذكر النشور ثانياً ليدل على السكون والراحة والطي أولاً على سبيل الاحتباك بين الجملتين الذي أفاد تنبيه المتلقي إلى عظم قدرة الله تعالى وعظيم امتنانه على عباده.

وعدل في الآية الكريمة عن استعمال فعل (خلق) إلى فعل (جعل) الذي يفيد التحول والتصيير ونقل الشيء على حالة دون حالة[36]، لأن الخلق هو ايجاد من العدم، والجعل توجيه وتوظيف لهذا الخلق فناسب ذكر الفعل (جعل) لبيان وظائف الليل والنهار اللذان يعدان من مخلوقات الله تعالى.

وفي سورة النبأ وردت آية مشابهة للآية السابقة في قوله تعالى: "﴿ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾" النبأ:9، حيث تضمن سياقها البلاغي تشبيهاً بليغاً كما في سابقه فشبه النوم بالموت، فضلاً عن أنه لما كان الخطاب في الآية الكريمة وما قبلها وبعدها موجهاً لمنكري البعث ناسب ابتداؤه باستفهام تقريري في قوله تعالى "ألم نجعل الأرض مهاداً ....." خرج عن أصل دلالته إلى معانٍ أخرى يقصد بها الأعلام بحقائق قدرة الله تعالى المسؤول عنها بالاستفهام وانتزاع اعتراف المخاطبين المنكرين ليوم البعث بها تمهيداً لإقناعهم بعظيم قدرة الله ﷻ فضلاً عن مناسبة تكرار فعل (جعلنا) في قوله تعالى: "﴿ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾" النبأ: ٩ - ١١ لإعراض وانكار هؤلاء المتكبرين لآيات الله العظيمة.

النعاس في الخطاب القرآني

قَالَ تَعَالَىٰ: "﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال تعالى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾

﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ ﴾" آل عمران: ١٥٤

نزلت هذه الآية الكريمة في غزوة أحد عندما اشتد الخوف على المؤمنين فأرسل الله عليهم الأمن والنوم حيث رسمت الآية صورة حاسمة ومجملة لنهاية الغزوة، وافتتحت بذكر ما امتن الله به على عباده المؤمنين من نعم بعد الغم والخوف الذي اعتراهم في قوله: "﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾"

وبدئت الآية الكريمة بخطاب عام موجه للمؤمنين بأداة (ثم) التي تفيد التراخي في الزمن وامتداده (ثم أنزل عليكم) إشارة إلى التذكير بعظيم منة الله تعالى عليهم من بعد الغم والخوف الذي أصابهم يوم أحد، فكان من رحمة الله تعالى ولطفه بهم أن أنزل عليهم الأمن والنعاس لينسيهم ما حلَّ بهم من هزيمة وغم، وثمة صورة بيانية في الفعل (أنزل) ممثلة بالاستعارة التصريحية حيث شبه المن على المؤمنين بالأمن والنعاس بالإنزال من عنده تعالى والجامع بينهما كمال رعايته وحسن تدبيره ﷻ لشؤون عباده المؤمنين فضلاً عن إفادة الاستعارة هنا تضخيم أمر (النعاس) بجعله منزلاً من عنده تعالى، والنعاس: من نعس نَعْساً ونَعَساً ونعاساً، من فترت حواسه فقارب النوم فهو ناعسٌ، وقيل النعاس هو النوم القليل وهو هنا عبارة عن السكون والهدوّ[37]، فهو رحمة الله تتنزل على عباده المؤمنين يوم أحد بعد الغم الشديد الذي أصابهم ليلقي السكينة والطمأنينة في قلوبهم ويبعث الأمل والقوة في نفوسهم لمواجهة عدوهم[38].

وتقديم الأمن على النعاس في الآية الكريمة عدول عن مقتضى الظاهر لأن (أمنة) مفعول لأجله حقه التأخير ويقدر بـ (نعاساً لأمنكم) لكن العدول هنا أفاد تعجيل المسرة للمؤمنين المخاطبين فضلاً عن أن الأمن فيه سكينة واطمئنان للنفس أكثر من النعاس الذي يخشى منه أن يمتد إلى النوم الثقيل، وتنكير لفظة نعاساً هنا أفاد تفخيم شأنه لأنه منزل من الله تعالى على عباده ليغشاهم، والغشاء هو: الغطاء، غشيت الشيء تغشية إذا غطيته، واستغشى بثوبه وتغشى إذا تغطى[39]، وتكمن في الفعل (يغشى) استعارة تصريحية حيث شبه النعاس في حمايتهم من الخوف وحسرة الهزيمة وتحليهم بالثبات والسكينة والطمأنينة بالثوب الذي يغطي ويستر لابسه ويضفي جمالاً عليه.

ولم تكن هذه الرحمة والمنة المنزلة من الله ﷻ عامة بل كانت خاصة بعبادة المخلصين حيث بقي أهل النفاق في فزع وخوف غير آمنين وهم الذين أشير إليهم في قوله تعالى: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم .....)، إذ لما ذكر حال الطائفة المؤمنة وصفت بالجار والمجرور (منكم) ولم يدخل الطائفة الأخرى (طائفة المنافقين) في هذا الوصف لأنهم ليسوا من المؤمنين الذين أمَّنهم الله تعالى بالسكينة والنعاس، فهم الذين أهمتهم أنفسهم ولم يفكروا إلا في نجاتها، ولفظة الهم مأخوذة من كل ما يهم ويحزن[40].

فقد حدثتهم أنفسهم بما يدخل عليهم الغم والهم وذلك بعدم رضاهم عن قدر الله لهم لذلك اتبعت الجملة باستئناف بياني فيه تعريض لهم باستمرارهم على جاهليتهم وعدم ايمانهم في قوله (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) حيث حدثتهم أنفسهم بالظنون الكاذبة في الله ورسوله ورسالته، وتمكن الشيطان من قلوبهم الفارغة من الإيمان فازدادوا هماً وغماً، ونالت الوساوس منهم فراحوا يتحدثون بأنهم لو كان لهم من الأمر شيء ما قتلوا، وهذا ما أشير إليه في قوله تعالى: (يقولون هل لنا من الأمر من شيء ....) فأسند الاستفهام الانكاري المراد به النفي هنا إلى الطائفة المنافقة حيث قصدوا به تبرئة أنفسهم من أن يكونوا سبباً فيما أصاب المسلمين يوم أحد[41].

وألهم الله تعالى نبيه ﷺ بالرد عليهم في قوله: (قل إن الأمر كله لله) فتعددت مؤكدات الخبر هنا بـ (إن ، الجملة الأسمية، كل) لتعزيز الرد الرادع على طائفة المنافقين فهم يبطنون الحقد والعداوة ويظهرون المودة وهذا المعنى يستجلى واضحاً ومؤكداً في المقابلة الحاصلة بين يخفون في أنفسهم ويبدون لك في قوله تعالى: (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) وثمة كمال اتصال بين الجملتين إذ فصلت الجملة الثانية (يقولون) عن الأولى (يخفون) لأنها نزلت منها منزلة عطف البيان في إفادة الإيضاح.

وفي هذه الجملة عبر بالفعل المبني للمجهول ونائبه الضمير المتصل (قتلنا) ففي المعركة لا يعرف القاتل من قتل ولا المقتول من قتله فناسب أن يكون الفاعل مجهول والفعل مبني للمجهول، فضلاً عن أن الفعل (قتلنا)هو مجاز مرسل في علاقته الكلية حيث أسند قتل الكل للبعض والمعنى لو كان لنا من الأمر شيء ما قتل من قتل منا في المعركة.

وفي قوله تعالى: (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) خطاب إلهي موجه لطائفة المنافقين مؤكد لمعنى: أن الذين قتلوا في المعركة حتى لو لم يخرجوا إليها لخرجوا قسراً إلى المكان الذي لقوا مصرعهم فيه وعبر عنه بـ (مضاجعهم) في استعارة تصريحية حيث شبه مكان قتلهم ومصرعهم بمكان نومهم، والجامع بينهما انعدام الاحساس والحركة في كل منهما.

وثمة عدول لطيف من خطاب الطائفة المنافقة (قل لو كنتم ....) إلى خطاب الطائفة المؤمنة في قوله تعالى: (وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم)، والتمحيص هو: "تخليص الشيء مما فيه من عيب، يقال: محصت الذهب ومحصته إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث"[42]، واستعير هنا لتطهير القلوب من كل ما يشوبها ويعلق بها من وساوس الشيطان، فالهزيمة في المعركة أحد هي اختبار من الله ﷻ ليمتحن فيه قلوب المؤمنين المخلصين، وذيلت الآية الكريمة بقوله تعالى: (والله عليم بذات الصدور) لتقرير علم الله تعالى بخبايا النفوس والقلوب، وقد أكد هذا المعنى بأسمية الجملة الدالة على الدوام والثبوت، والتعبير بصفة (عليم) وهي من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم فضلاً عن التعبير

بالتأكيد المعنوي (بذات الصدور) أي يعلم الصدور ذاتها ولا يقف علمه على ما تتضمنه الصدور فحسب.

كما ورد النعاس في سورة الأنفال في قوله تعالى: "﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾" الأنفال: ١١

والآية الكريمة فيها حسن تخلص وانتقال بديع لما قبلها بـ (إذ) الزمانية في قوله تعالى: "﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ ﴾" الأنفال: ٩ – ١٠.

وهذا ما أشار إليه البقاعي في قوله: "لما ذكر البشرى والطمأنينة بالإمداد، ناسب أن يذكر لهم أنه أتبع القول الفعل فألقى في قلوبهم بعزته وحكمته الطمأنينة والأمن والسكينة بدليل النعاس الذي غشيهم في موضع هو أبعد الأشياء عنه وهو موطن الجلاد ومصاولة الأنداد والتيقظ لمخاتلة أهل العناد"[43].

وتخصيص النعاس بأنه من الله تعالى وإسناده له في قوله: (يغشيكم النعاس) بإيجاز الحذف ويقدر بـ (يغشيكم الله النعاس مع أن كل نوم ونعاس هو بتقدير الله ﷻ فيه أن الخائف من عدوه لا يغلبه النعاس وحصول النوم في هذا الموضع فيه زوال الخوف وحصول الأمن منَّة منه تعالى على عباده المؤمنين، لذلك أعقب بقوله: (أمنة منه) للدلالة على تشريف ذلك النعاس فهو من الله تعالى لطفاً بعباده ورحمة بهم. والغشي والغشاء هو الغطاء وروده هنا مجازي بطريق الاستعارة كما ذكرنا آنفاً وعبر عنه بصيغة المضارعة وهو واقع في الزمن الماضي لاستحضار هذه الصورة في موضع لا يتوقع أن تقع فيه.

وأعقب الله تعالى في الآية الكريمة ذكر منةً أخرى على عباده المؤمنين أكرمهم بها بأن أنزل عليهم المطر في قوله (وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان) إذ لما ذكر الماء في الآية الكريمة ناسبه تقديم ما يتعلق به وهو الطهارة فابتدأ بها أولاً ثم أتبعه بإبعاد رجز الشيطان عنهم، والرجز في الأصل "الاضطراب، ومنه قيل رجز البعير رجزاً فهو أرجز وناقة رجزاء إذا تقارب خطوها واضطرب لضعفها"[44]، واستعير هذا المعنى في الآية الكريمة لوسوسة الشيطان للمؤمنين بضعفهم وقلة عددهم وكثرة عدوهم وتخويفهم من العطش وإلقاء الظن السيء في نفوسهم بإصابة بعضهم بالجنابة، فأكرمهم تعالى بإنزال المطر عليهم لتطهيرهم حسياً ومعنوياً، وأفاد تقديم الجار والمجرور (عنكم) على المفعول به (رجز الشيطان) الاهتمام بالمقدم وهم المؤمنون والتشويق إلى معرفة المؤخر الذي أبعده الله عنهم وهو (رجز الشيطان).

وختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: (وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) والرباط "اسم لما يربط به الشيء ويشد"[45] واستعير لما حلَّ في القلب من صبر وثبات على مجالدة العدو، وإيمان وسكينة بعد الشدة والخوف وأفادت لفظة (على) الاستعلاء فالقلوب ملأها الربط حتى كأنه علاها وارتفع فوقها.

وحمل تثبيت الأقدام على حقيقته إذ كان الموقع الذي نزل المسلمون عنده رملاً تغوص الأقدام فيه فأنزل الله ماء لبد الأرض حتى ثبتت الأقدام عليها[46].

ويمكن أن يستعار تثبيت الأقدام لمواجهة العدو وقت القتال والصبر على ذلك وعدم الفرار منه، لأن الخائف لا تثبت أقدامه بل يهرب عند لقاء عدوه.

الهجوع في الخطاب القرآني

قَالَ تَعَالَى: "﴿ سُوْرَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾" الذاريات: ١٧

الآية الكريمة فيها بيان لحال المتقين فهي متصلة بما قبلها في قوله تعالى: "﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُوْرَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾" الذاريات: 15-17

وبدئت الآية الكريمة بحرف التوكيد (إنَّ) لتؤكد جزاء المتقين، والتقوى من وقى "والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضر، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، والتقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور"[47]، وعدل عن الفعل (اتقوا) وجيء بالمتقين لأفادة العموم الذي يشمل كل ما يقرب لله تعالى من التزام أمرٍ واجتناب نهي، كما عبر عن هذا المعنى باسمية الجملة التي تدل على الثبات والاستقرار في جنات النعيم التي اشير إليها في قوله تعالى: (في جنات وعيون) وتنكير جنات وعيون لتعظيمها إذ لا يقدر الواصفون على وصفها.

ووصف الله تعالى حال المتقين في جنات النعيم في قوله تعالى: (آخذين ما آتاهم ربهم) والجملة هي كناية عن رضاهم وقبولهم ما أنعم الله عليهم به، وعبر عن الأخذ بالصيغة الاسمية للدلالة ثبات ودوام واستمرارية الأخذ من عطاء الله تعالى الذي لا ينضب وأفادت (ما) الموصولة هنا العموم الذي يشمل كل ما آتاهم ربهم من نعم، فضلاً عن أن إضافة ضمير المتقين إلى الرب فيه تشريف لهم.

واتبع وصف حال المتقين في جنات النعيم بتعليل لدخولهم فيها في قوله تعالى: (إنَّهم كانوا قبل ذلك محسنين) لذلك استحقوا هذه المكانة العظيمة التي منَّ الله تعالى عليهم بها جزاءً لإحسانهم الذي وصفوا به في الدنيا الذي دلَّ عليه فعل (كان)، فضلاً عن أَن استعمال اسم الإشارة (ذلك) فيه إشارة للبعد الزمني بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، كما أن التعبير عن إحسانهم باسم الفاعل (محسنين) فيه استمرار ودوام اتصافهم بهذه الصفة والميزة الحسنة.

ثم فصل الله تعالى مظاهر الإحسان الذي اتسم به المتقون في قوله: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) فالجملة بدل من جملة (كانوا قبل ذلك محسنين)، والهجوع هو النوم ليلاً، يقال هجع يهجع هجوعاً: نام، وقيل نام بالليل خاصة، والتهجاع: النومة الخفيفة والهجيع من الليل هو الطائفة[48].

وجملة (قليلاً من الليل ما يهجعون) هي كناية عن قيامهم الليل، واجتهادهم في الطاعات، وهجرهم الفرش، وفي قوله: (من الليل) من هنا تبعيضية أي جزء يسير منه فمدح الله تعالى المتقين بقيامهم الليل وقلة نومهم فهم من "﴿ الأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ ﴾" السجدة: ١٦

وتنكير قليلاً للدلالة على التقليل، أي أنهم كانوا قليلي النوم في الليل، و (ما) هنا مصدرية بمعنى (قليلاً هجوعهم)، كما إن في تقديم (قليلاً من الليل) على (يهجعون) فيه إشارة إلى عظيم فضل قيام الليل، وثمة إيجاز حذف في (قليلاً) يقدر بـ (زمناً قليلاً).

فالآيات الكريمة فيها إجمال وتفصيل، حيث أجمل ذكر المحسنين ثم فصل وصفهم في سياق بلاغي عالٍ.

الرقاد في الخطاب القرآني

قَالَ تَعَالَى: "﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾" الكهف: ١٨

في الآية الكريمة وصف لحال أصحاب الكهف بعد أن ألقى الله ﷻ النوم الطويل عليهم، حيث دلت جملة: (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) على أن الله ﷻ أنامهم وأبقى عيونهم مفتحة فمن رآهم حسبهم أيقاظاً لا نائمين[49].

والأيقاظ: "جمع يقظ، واليقظة نقيض النوم، والفعل أستيقظ والنعت يقظان، والتأنيث يقضى، ونسوةٌ ورجالٌ أيقاظٌ، واليقظة والاستيقاظ هو الانتباه من النوم يقال أيقظته من نومه أي نبهته فتيقظ"[50].

والرقود: جمع راقد، يقال: رقد رقوداً فهو راقد، وهو النوم بالليل، وقيل الرقاد والرقود يكون بالليل والنهار، وقيل هو النوم الطويل أو الخاص بالليل[51].

"والرقاد المستطاب من النوم القليل، وإنما وصف الله تعالى أهل الكهف بالرقود مع كثرة منامهم اعتباراً بحال الموت وذلك أنه أعتقد فيهم أنهم أموات فكان ذلك النوم قليلاً في جنب الموت"[52].

فالمرجح أن الرقاد يقصد به النوم الطويل بدلالة حال أهل الكهف حيث ناموا فترة مكوثهم في كهفهم كما جاء في قوله تعالى: "﴿ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ ﴾" الكهف: ٢٥

والمتأمل في جملة: (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) يرى أنها جمعت بين التشبيه والطباق، حيث تجلت معالم التشبيه بفعل الشك (تحسبهم) الذي ربط بين ظاهرهم (أيقاظاً) وحقيقتهم (رقود)، فشبه أهل الكهف في حال نومهم بالأيقاظ ووجه الشبه بينهما بأنهم كانوا مفتحي العيون في حال نومهم، حيث أقيم التشبيه هنا على الطباق بين لفظة أيقاظ وفيها جمع قلة للدلالة على قلة حركتهم، وبين رقود التي تدل على الكثرة للتناسب مع طول مدة نومهم في الكهف.

وقد عبر بالجملة الفعلية المضارعة (تحسبهم) ليناسب تجدد وتكرار الظن والحسبان مدة مكوثهم الطويل في الكهف، كما عبر بالجملة الاسمية عن (رقود) لأفادة ثبوت رقودهم ودوامه.

ومن رحمة وعناية الله ﷻ بالفتية أصحاب الكهف أن حفظ أبدانهم وهم رقود ، كما جاء في قوله تعالى: (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)، حيث قلّبوا في رقدتهم كثيراً في جهة تلي أيمانهم وجهة شمائلهم كيلا تفسد الأرض أبدانهم وتتعفن إذا بقوا على حال واحدة[53].

وتضمن الفعل (نقلبهم) ضمير المتكلم الدال على الجمع العائد على الله ﷻ لتعظيم ذاته الألهية، وللدلالة على قدرته وتمكنه، فضلاً عن اختصاصه بالرحمة والعناية.

وثمة طباق بين التقليب ذات اليمين وذات الشمال يوحي بأنهم أيقاظ لا رقود، فهم يتقلبون في نومهم شأن النائم حقيقة، وعبر عن تقليبهم بالجملة الفعلية (نقلبهم) لتكرار وقوعه مرة تلو مرة لمنع تعفن أبدانهم وتآكلها.

وأصاب كلب أصحاب الكهف ما أصابهم من النوم وقت حراسته فكان باسط ذراعيه بفناء الكهف، حيث عبر باسم الفاعل (باسط) وعدل عن الفعل (يبسط) للدلالة على الثبات ولزوم الحالة التي تثير الخوف والرعب في نفس من يراهم.

ومن مظاهر حماية ورعاية الله ﷻ للفتية أصحاب الكهف أيضاً أن ألقى عليهم مهابة وهيبة يفر منها من أطلع عليهم[54]، كما جاء في قوله تعالى: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا).

ومن لطيف التقديم والتأخير هنا أن قدم (الفرار) على (الرعب) إذ إن الأصل أن يقدم الإحساس والشعور بالرعب ليكون سبباً للفرار ولكن تجلت حكمة الله في العدول عن الأصل لحماية الفتية بأن جعل من يطلع عليهم يلوذ بالفرار ويبادر قبل أن يفكر في حالهم، يمتلئ قلبه رعباً وخوفاً منهم، "والملء: مقدار ما يأخذه الإناء الممتلى[55]، "والملء: كون المظروف مالاً في جميع فراغ الظرف بحيث لا تبقى في الظرف سعة لزيادة شيء من المظروف فمثلت الصفة النفسية بالمظروف، ومثِّل عقل الإنسان بالظرف

ومثِّل تمكن الصفة من النفس بحيث لا يخالطها تفكير في غيرها يملئ الظرف بالمظروف فكان قوله (لملئت) استعارة تمثيلية"[56].

ويبدوا أن البيان في هذه الجملة (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعبا) هو كناية عن صفة قطاع الطرق الذين يخشون الناس شرهم، فإذا اطلع عليهم الرائي هرب منهم خوفاًا من شرهم وما يحدثونه فيه من سلب وقتل.

وكان لتكرار الجار والمجرور (منهم) فيه الدلالة على هول منظرهم فضلاً عن أفادة أن الهلع والخوف مسبب عن رؤيتهم على تلك الحال وليس عن وحشة الكهف الذي يمكثون فيه، وذلك من عظيم رعاية وحفظ الله ﷻ لهم.

القيلولة في الخطاب القرآني

قَالَ تَعَالَىٰ: "﴿ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾" الأعراف: ٤

أرسل الله ﷻ نبيه ﷺ لإنذار وتبليغ قومه، وأمرهم بالأيمان والتسليم والاتباع، وفي الآية الكريمة ذكر لما يقع على العاصي والمخالف من عقاب ووعيد بطريق التذكير بما حلَّ في الأمم السالفة لتكذيبهم الرسل وما أرسلوا به فكان جزاؤهم أن أهلكهم الله ﷻ بسبب غيهم وانحرافهم عن جادة الصواب.

والسياق البلاغي للآية الكريمة وظف لبيان جزاء وعقاب هؤلاء حيث افتتحت الآية بـ (كم) الخبرية في قوله تعالى: (وكم من قرية أهلكناها) التي تفيد التكثير والاخبار عن عدد كثير مبهم لتعزيز وتأكيد خبر كثير من القرى التي أهلكت على حين غفلة منها، وأتبعت (كم) بـ (من) لتأكيد معنى الكثرة.

وذكر القرية التي وقع الهلاك عليها فيه مجاز مرسل علاقته محلية، حيث أراد بالقرية هنا أهلها، لأن الأهلاك ويقصد به هنا "العذاب"[57] صفة تنسب إلى أهل القرية وليس دورهم، فالأهلاك قرينة لفظية منعت إيراد المعنى الحقيقي فذكرت القرية مجاز عن أهلها وذلك بإطلاق المحل على الحاليّن فيه.

وثمة مجاز مرسل آخر ورد في جملة: (أهلكناها فجاءها بأسنا) علاقته سببية، حيث أطلق السبب مجازاً عن المسبب وذلك بأن عبر عن أرادة الاهلاك بالاهلاك مجازاً بقرينة قوله: (فجاءها بأسنا) إذ لا معنى لوقوع الاهلاك والعذاب ومجيء البأس بعده، وإنما يأتي البأس وهو الشدة والمكروه في الحرب[58]، فيحدث الأهلاك والعذاب عنده، وعبر عن الاهلاك أولاً، لأنه سبب الإرادة المفضية للاهلاك، فكان ذلك من باب تسمية السبب باسم المسبب، وعبر عن وقوع العذاب بالفعل الماضي (جاء) الذي عدل فيه عن أتى لأفادته العموم فضلاً عن استعماله لما هو أشد وأشق وأصعب مما تستعمل له (أتى) التي تدل على أن الاتيان مجيء بسهولة[59].

وورد هلاك الأمم السابقة ممن كذبوا الرسل وما بعثوا به في الآية الكريمة على ضربين في قوله تعالى: (بياتاً أو هم قائلون)، وبياتاً: هو مصدر من بات يبيت وبيات بيتةً وبياتاً وبيتوتة ومبيتاً ومباتاً ويقصد به ما يفعل ليلاً من نوم أو غيره، وبيّت القوم والعدوَّ أوقع بهم ليلاً والاسم البيات، وأتاهم الأمر بياتاً أي أتاهم في جوف الليل[60]، واستعير مجيء البأس لشدة الحرب ومكروهها فكان البيات من حالاتها، لأن تبييت العدو هو أن يقصد ليلاً من غير علمه فيؤخذ بغتة لذلك اطلق البيات على الغارة المفاجئة التي تقع على حين غفلة فكان ترشيح للاستعارة هنا. أما لفظة قائلون فهي اسم فاعل من قال يقيل مقيلاً وقائلةً ومقالاً ومقيلاً وقيلولة، ويقصد بها النوم في الظهيرة أو نومة نصف النهار[61].

وعطفت الحال في (قائلون) بـ (أو) على حال قبلها في (بياتاً) مكونة صورة مطابقة لوقت مجيء العذاب في الليل أو النهار، حيث أفادت (أو) التقسيم بأن وقع العذاب لبعض الأمم في حال كونهم بائتين ليلاً، ووقع لبعضهم في حال كونهم قائلين نهاراً، وخصَّ هذان الوقتان بالذكر لأنهما أوقات راحة ودعة ونزول العذاب فيهما بغتة يكون أكثر وجعاً، وأشد إيلاماً، فضلاً عن أن استعمال الضمير (هم) من دون (الواو العاطفة) فيه إشارة إلى احتباك بديع في الجملة، حيث ذكر (بياتاً) أولاً للدلالة على حذف (هم نائمون) أولاً، والمعنى أن كثير من الأمم أهلكوا لعصيانهم رسلهم وما بعثوا به من ربهم، فكان هلاكهم بأن وقع العذاب عليهم وقت المعاصي ويغفل عن وقوع عاقبتها بغتة.

الوفاة في الخطاب القرآني

قَالَ تَعَالَىٰ: "﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى: ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ ﴾" الأنعام: ٦٠

الآية الكريمة فيها بيان تدبير الله ﷻ لحياة الانسان، وقدرته على بعثه وحسابه يوم القيامة لما أحصاه له من أعمال اجترحها واكتسبها قبل ايفائه أجله المقدر له.

ومن عظيم قدرة وامتنان الله ﷻ على عباده، أن يتوفاهم بالليل، ويبعثهم بالنهار، كما جاء في قوله تعالى: (هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه)، وأصل التوفي: هو أخذ الشيء أو بذله تاماً وافياً كاملاً غير منقوص ومنه توفيت المال واستوفيته إذا أخذته كله، وتوفيت عدد القوم إذا عددتهم كلهم، ويطلق التوفي على الموت والمنية، والوفاة الموت، يقال: توفي فلان وتوفاه الله إذا قبض نفسه أو روحه، ويقال: توفّي الميت استيفاء مدته التي وفيت له وعدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا[62].

واطلاق التوفي في الآية الكريمة استعارة تصريحية للنوم لاشتراكهما في انقطاع الادراك والاحساس والتمييز والحركة والعمل.

وأسند الله ﷻ التوفي هنا إلى ذاته الجليلة وقصرها عليه دون غيره بقوله (وهو الذي يتوفاكم) لأنه ذكر بمعنى النوم الذي يدل على الدعة والراحة والسكون، بينما أسند التوفي إلى غيره عندما ذكر على حقيقته كما في قوله تعالى: "﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾"السجدة: ١١، لأنه مما يكره وينفر منه.

وكما بين الله ﷻ قدرته على توفي خلقه بالليل ومنِّه عليهم بالراحة والسكون، اتبعه بذكر احاطة علمه بنهارهم وحال حركتهم بجملة معترضة في قوله تعالى: (ويعلم ما جرحتم بالنهار)، والجرح هو الفعل جرحه يجرحه جرحاً أي أثر فيه بالسلاح، والجرح (بالضم) الاسم والجمع أجراح وجروح وجراح، وجرح الشيء واجترحه أي كسبه، وتسمى الصائدة من الطير والسباع والفهود والكلاب جارحة وجمعها جوارح لأنها تكسب لأهلها[63]، واللفظ هنا مجاز لكسب الانسان معاشه.

وخصَّ اطلاق التوفي المقصود به النوم بالليل، واطلاق الكسب بالنهار للتغليب لأن النوم يكون بالليل والكسب بالنهار، وعبر عن احاطة علم الله بخلقه بصيغة المضارعة (يعلم) للدلالة على استمرارية علمه واحاطته بخلقه، وعبر عن الكسب بصيغة الماضي (جرحتم) للدلالة على وقوعه وتحققه، كما نستجلي من فعل (جرحتم) ورود معنيان فيه أحدهما قريب وظاهر أفاد وقوع الشق والجرح في الجسم وهو غير مراد، وثانيهما بعيد خفي غير ظاهر مراد وهو ارتكاب الآثام والمعاصي على سبيل التورية.

وفي الآية الكريمة أطلق البعث على الايقاظ والأفاقة والتنبه من النوم في قوله تعالى: (ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى) على سبيل الاستعارة التصريحية، فضلاً عن أن تسمية الأفاقة والتنبه من النوم بعثاً فيه محاذاة لتسمية الأنامة توفياً، أي أن ما يمثله النوم من راحة ودعة وسكون وهدوء يحاذيه في الآية الكريمة ما تمثله اليقظة من عودة الحياة وما يلازمها من حركة ونشاط وعمل.

وأفاد المغزى من البعث من النوم قضاء الأجل المسمى ويقصد به الوقت المتبقي من حياة الخلق المقدرة لهم من الله ﷻ، إذ ثمة حذف في جملة (ليقضي أجل مسمى) يقدر بـ (عنده)، والتعبير بـ (ثم) في قوله تعالى: (ثم إليه مرجعكم) فيه إشارة إلى التفاوت والبعد الزمني بمقتضى الأجل المسمى، وكذلك التعبير بـ (ثم) في قوله: (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فيه إشارة إلى التفاوت بين حياتي البرزخ والآخرة، فضلاً عن أن جملة (ينبئكم بما كنتم تعملون) هي كناية عن مشهد الحساب وفصل القضاء الرباني في الآخرة، وذلك بذكر بعض ما يجري يوم الحساب في محكمة الله العادلة وهو اخبار العباد بعملهم في حياتهم الدنيا.

ووردت لفظة الوفاة بمعنى النوم كذلك في قوله تعالى: "﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ( ) ( ) ( ) ﴾" الزمر: ٤٢

فالآية الكريمة مستأنفة ابتدائياً للتنبيه على عظيم قدرة الله ﷻ وانفراده بالألوهية لذلك أفتتحت بتقديم المسند إليه لفظ الجلالة (الله) على المسند وهو الخبر الفعلي (يتوفى) لأفادة حصره بمضمون الخبر، أي أن الله ﷻ هو المتوفي للأنفس لا غيره، وبين الله ﷻ في الآية الكريمة بأنه يتوفى الأنفس وفاة كاملة عند انقضاء أجلها، ويتوفى الأنفس جزئياً عند نومها، حيث استعير فعل التوفي هنا للإنامة لمشابهتما في انقطاع الادراك والتمييز والعمل كما ذكرنا آنفاً، إذ ينجلي لنا من هذا السياق القرآني حقيقة مفادها "أن النوم والموت ظاهرتان للفصل بين الروح الممدة بالحياة وبين النفس التي تجتمع فيها خصائص الكائن القابل للحياة، فإذا كان الفصل كلياً حدث الموت وإذا كان الفصل جزئياً يقتصر على سلب الحركة الارادية حدث النوم"[64]، وأُسند الموت والنوم إلى الأنفس في قوله: (يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) على سبيل المجاز العقلي "لأنهما حالّا أبدانها لا حالّاها"[65]. والله ﷻ يتوفى الأنفس عندما تستوفي أجلها المقدر لها في الحياة الدنيا كاملاً فيمسكها بالموت وهذا ما يسمى بالوفاة الكبرى، ويتوفى الأنفس التي لم ينقض أجلها بفصل جزئي بينهما وبين الروح في اثناء نومها ثم يرسلها لتستوفي أجلها المقدر لها وهذا ما يسمى بالوفاة الصغرى[66]، وينجلي لنا من هذا المعنى جمع وتقسيم في سياق الآية الكريمة، حيث جمعت النفسان في اطلاق حكم التوفي عليهما ثم قسم بينهما بالإمساك والأرسال، فالله ﷻ يتوفى الأنفس جميعها التي استوفت أجلها والتي لم تستوفه كاملاً، فيمسك النفس الأولى التي قضى عليها الموت، ويرسل النفس الثانية التي لم يقض عليها الموت إلى أجل مسمى ومعين عند بارئها على وجه التقسيم بينهما بعد جمعهما في حكم واحد.

والإمساك من أمسك يمسك إمساكاً فهو ممسك، وأمسك الشيء وأمسك بالشيء حبسه وقبض عليه وأخذه بيده[67]. واطلاقه هنا على سبيل الاستعارة التمثيلية لقبض الروح وعدم ارسالها مرة ثانية إلى الحياة لاستيفائها أجلها المقدر لها كاملاً غير منقوص، "والارسال يقابل الإمساك وأصله الانبعاث"[68].

ومن بديع بلاغة سياق الآية الكريمة اتسامها بالاختصار والايجاز بحذف الجملة في قوله: (والتي لم تمت في منامها) التي تقدر بـ (ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها) فحذفت هذه الجملة الفعلية لدلالة ما قبلها عليها فضلاً عن افادة الحذف تقريب الشبه بين الموت والنوم.

وذيلت الآية الكريمة بجملة خبرية انكارية في قوله: (إنَّ في ذلك لآياتٌ لقوم يتفكرون) حيث أكد الخبر بـ (إن واللام) خروجاً عن مقتضى الظاهر على الرغم تكرار مشهد حياة وموت الخلائق، وتكرار مشهد نومهم وايقاضهم إلا أنه خرج عن الغرض الأصلي للخبر لتأكيده واثباته في صورة تلفت انتباه المتلقي وتسترعي تفكيره وتدبره في آيات الله، فضلاً عن أن التنوين في لفظة (آياتٌ) أفاد معنى تكثيرها وتعظيمها لدلالتها على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته الخلائق جميعهم، والتعبير بصيغة المضارعة (يتفكرون) فيه إشارة إلى وجوب دوام واستمرار تفكر وتدبر آيات الله ﷻ.

الخاتمة

بعد انتهاء الرحلة الشيقة بين ثنايا كتاب الله الجليل، والنهل من رحيقه المختوم، لا بد لنا من وقفة نجني منها ثمارها الزكية ونشم عبق عطرها الفوّاح لنستخلص أهم ما وصلنا إليه من نتائج يمكن أن نوجزها بالآتي:

- النوم سر معجزٌ من أسرار الله ﷻ وآية من آياته في خلقه، ومنَّةٌ ونعمة عظيمة عليهم لأنه ضرورة من ضرورات حياتهم وصفة ملازمة لها، فهو السكن والراحة والهدوء والطمأنينة التي تغشى قلوبهم وأجسادهم بعدما يعتريها تعب ومشقة وعناء اليقظة.
- القرآن الكريم حمّال أوجه ونصه ثري بمدلولات وتعدد أنماط سياقه، لذا جاءت كل لفظة من ألفاظ النوم في سياقها لا سيما البلاغي ضمن منهج خاص بها يميزها عن غيرها، ولا يمكن لمفردة أخرى تأدية معناها عنها.
- تتبع البحث أثر السياق البلاغي في بيان وايضاح المعاني والمراحل الدقيقة لمادة النوم في الخطاب القرآني بطريقة توظيف الفنون البلاغية فيها التي تقوم على دراسة الأبنية والتراكيب للنصوص والجمل والمفردات المكونة لها وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وحقيقة ومجاز وغيرها.
- تكمن جماليات آيات النوم ضمن سياقها الذي وردت فيه بدقة التعبير عن معانيها بطرق عديدة ارتبطت ببنائها وعلاقاتها مع ما سبقها وما بعدها سواء أكان ذلك ما اتصل بالمفردات أو المعاني أو طريقة النظم لتجتمع مكونة وحدة نصية متكاملة.
- اتسمت آيات النوم ضمن سياقها البليغ في احكام بنائها، ودقة صياغتها، وتنوع خصائصها التصويرية من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية، فضلاً عن الدقة في اختيار ونظم المفردات في مواضعها الملائمة لها، وتنوع أساليبها بين الأنشاء والخبر، واختيار الجمل بصيغتها الأسمية تارة والفعلية تارة أخرى والربط بين مفرداتها وأبنيتها وتراكيبها ضمن وحداتها الداخلية واطارها النصي العام.

وحسن الختام الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أبلغ المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط 4، 1407هـ – 1987م: 1499/4.

(2) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395 هـ)، إعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ط 1، 1422هـ – 2001م، مادة (سوق): 117/3.

(3) لسان العرب، ابن منظور ، دار الحديث – القاهرة ، (د . ط) ، 1423هـ – 2003م، مادة (سوق): 752/4.

(4) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ) ، تحقيق: مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث باشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ناشرون – دمشق – سوريا ، بيروت – لبنان ، ط 3 ، 1433هـ – 2012م، مادة (سوق): 895 – 896.

(5) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت 420هـ) ، راجعه وعلق عليه: نجيب الماجدي ، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ، (د . ط) ، 1433هـ – 2012م، مادة (سوق): 266 – 267.

(6) ينظر: السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبدالفتاح محمود محمود، اطروحة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، إشراف، الدكتور فضل حسن عباس، جامعة اليرموك – إربد – الأردن، 1426هـ – 2005م: 14، والسياق البلاغي لمادة (ث، ق، ل) في الخطاب القرآني، د. عمار اسماعيل أحمد، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية المجلد (28) العدد (12) لعام 2021: 49.

(7) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت: 702هـ)، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1426هـ – 2005م: 278/1.

(8) حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت: 1250هـ)، دار الكتب العلمية، (د. ط.)، (د. ت.): 30/1.

(9) الأضداد، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت: 328هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، 1407هـ – 1987م: 2.

(10) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي: 15.

(11) ينظر: السياق انماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، م. د. خليل خلف بشير العامري، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد 9، العدد 2، 2010: 54–55.

(12) ينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافة والاعلام، بغداد – العراق، ط 1، 1987م: 83.

(13) ينظر: السياق البلاغي لثنائية الضحك والبكاء في الخطاب القرآني، أ.م. د. عدنان عبدالسلام أسعد، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية المجلد (26) العدد (12) لعام 2019: 210.

(14) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 2001م: 373/15.

(15) لسان العرب، مادة (نوم): 750/8–753.

(16) القاموس المحيط، مادة (نوم): 1164.

(17) التعريفات، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت: 816هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 4، 1434هـ – 201م: 243.

(18) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (نوم): 529.

(19) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان: 53/10.

(20) التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ: 19/3.

(21) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ)، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، ط 3 ، 1407 هـ: 329/1 – 330.

(22) التحرير والتنوير: 17/3.

(23) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة (حيي): 154.

(24) لسان العرب، مادة (قوم): 550/7.

(25) ينظر: لسان العرب، مادة (وسن): 307/9 ، والمعجم الوسيط: اخراج: إبراهيم مصطفى ، وأحمد حَسَن الزيات ، وحامد عبدالقادر ، ومحمد علي النجار ، مجمع اللغة العربية ، الادارة العامة للمجمعات واحياء التراث – القاهرة ، ط 1 ، 1380هـ – 1960م، مادة (وسن): 1090/2.

(26) معجم مقاييس اللغة، مادة (نوم): 968.

(27) مفردات الفاظ القرآن ، مادة (نوم): 529.

(28) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ، مادة (أخذ): 20، والمعجم الوسيط ، مادة (أخذ): 26/1.

(29) لسان العرب ، مادة (كرسي): 636/7.

(30) ينظر: مفردات الفاظ القرآن ، مادة (أيد): 40

(31) التحرير والتنوير: 45/19.

(32) المعجم الوسيط ، مادة (لبس): 865/2.

(33) مفردات ألفاظ القرآن ، مادة (سبت): 237.

(34) لسان العرب ، مادة (سبت): 462/4.

(35) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ، مادة (نشر): 512، ولسان العرب، مادة (نشر): 552/8.

(36) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة (جعل): 107.

(37) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (نعس): 993/2، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة (نعس): 518.

(38) ينظر: صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – مصر، ط 1، 1417 هـ – 1997م: 227/1.

(39) ينظر: لسان العرب، مادة (غشا): 630/6–631.

(40) ينظر: المعجم الوسيط، مادة (همّ): 1053/2.

(41) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط 1، 1998م: 305/2.

(42) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (محص): 483.

(43) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885 هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت (1415 هـ – 1995 م): 192/3.

(44) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (رجز): 204.

(45) لسان العرب، مادة (ربط): 41/4.

(46) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشَريعة والمنهج: د. وهبة مصطفى الزُحَيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق ، ط 2 ، 1418هـ: 267/9.

(47) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (وقى): 564.

(48) ينظر: لسان العرب، مادة (هجع): 38/9، والقاموس المحيط، مادة (هجع): 774.

(49) ينظر: أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ، (د . ط) ، 1415هـ – 1995م: 224/3.

(50) لسان العرب، مادة (يقظ): 460/9.

(51) ينظر: م. ن.، مادة (رقد): 212/4، والقاموس المحيط: 283.

(52) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (رقد):218.

(53) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحُسيني الآلوسي (ت:1270هـ)، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط 1، 1415هـ: 214/8.

(54) ينظر: زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت): 4507/9.

(55) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ملأ): 493.

(56) التحرير والتنوير: 282/15.

(57) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (هلك): 538.

(58) م. ن. مادة (بؤس): 77.

(59) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة (جاء): 117, ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، (د. ط)، (د. ت): 98.

(60) ينظر: لسان العرب، مادة (بيت): 559/1.

(61) ينظر: م. ن.، مادة (قيل): 563/7، والقاموس المحيط، مادة (القائلة): 1051.

(62) ينظر: لسان العرب، مادة (وفى): 362/9، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة (وفى): 562.

(63) ينظر: لسان العرب، مادة (جرح): 81/2 – 82، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة (جرح): 103.

(64) معارج التفكر ودقاق التدبر: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم – دمشق – سوريا ، ط 1 ، 1423هـ – 2002م: 238/12.

(65) روح المعاني: 262/12.

(66) ينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1420هـ – 1999م: 101/7.

(67) ينظر: لسان العرب: مادة (مسك): 286/8، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط1، 1429 هـ – 2008م: 2098/3.

(68) مفردات ألفاظ القرآن: مادة (رسل): 212.

Research sources

First: printed book

1. Alkashaf Ean Haqayiq Ghawamid Altanzili: Abu Alqasim Mahmud Bin Amrw Alzamakhshari Alkhawarazmi (538 A. h.), Tahqiq Abdalrazaaq Almahdi, dar Alkitaab Alarabii - Bayrut - Lubnan , 3rd edition, 1407 A. h.

2. Altahrir wa Altanwir Almaeruf Btafsir Ibn Ashur: Muhamad Altaahir Ibn Ashur (1393 A. H.), Aldaar Altuwnusiat Lilnashr – Tunis, 1984 A. H..

3. Muffrdat Aalfaz Alquran: Alraaghib Al'asfahanii (420 A. H.), review it: Najib Almajdi, Almaktabat Alasriat - Sayda - Bayrut, 1433 A. H. - 2012 A. D..

4. Lisan al-Arab: Ibn Manzur, Dar al-Hadith - Cairo, 1423 A. H. - 2003 A. D..

5. Almuejam alwasit: Directed by: 'Ebrahim Mustafaa , Ahmad Hasan Alzayaat, Hamed Abdalqadir and Muhamad Ali Alnajaar, Arabic Language Academy, General

Administration of Complexes and Heritage Revival - Cairo, 1st edition , 1380 A. H. - 1960 A. D..

6. Muajam Maqayiis Allugha, Abi Alhusayn Ahmad Bin Faris bin Zakariaa, Directed by: dr. Muhamad Awad Muraib and Mis: Fatima Muhamad Aslan, Dar ahya" Alturath Alarabii - Bayrut - Lubnan , 1st edition, 1422 A. H - 2001 A. D..

7. Safwat Al-tafasiir: Muhamad Ali al-Sabouni, Dar al-Sabouni for printing, publishing and distribution - Cairo - Egypt, 1st edition, 1417 A. H. - 1997 A. D..

8. Altafsir Alwasit For The Holy Qur'an: Muhamad Sayid Tantawii, Dar Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, Faggala - Cairo, 1st edition, 1998 A. D..

9. Nuzim Aldurar Fi Tanassub Alayat And alsuwr, 'Eibrahim Bin Omar Bin Hasan Alribat Bin Ali Bin Abi Bakr Albiqaeii (885 A. H), Dar Alkutub Aleilmia - Bayrut, 1415 A. H. - 1995 A. D..

10. Altafsir Almunir Fi Aleaqidat Walsharyea Walmanhaj: dr. Wahba Mustafaa Alzuhayly , Dar Alfikr Almuaasir - Dimashq , 2nd edition, 1418 A. H..
11. Dictionary Almuhit: Majd Aldiyn Muhamad Bin Yaequb Alfayruzaabadi (817 A. H.) , Tahqiq: Markaz Alrisala lldirasat Wa Tahqiq Alturath, by: Muhamad Naeim Alarqasusi, Muassasat Alrisala Nashrun - Ddimashq - Syria , Bayrut - Lubnan , 3rd edition, 1433 A. H. - 2012 A. D..
12. Adwaa Albayan Fi aydah Alquran Bi Alquran: Muhamad Al'amin Bin Muhamad Almukhtar Bin Abdalqadir aljakni Alshanqitiu (1393 A. H.) , Dar Alfikr For Etibaa Walnashr Wa Altawze - Bayrut - Lubnan , 1415 A. H. - 1995 A. D..
13. Ruh Almaani Fi Tafsir Alquran Alazim Wa Alsabe Almathaani: Shihab Aldiyn Mahmud Bin Abdullah Alhusyny Alalusi (1270 A.H.), Tahqiq: Ali Abdalbari Atiaa, Dar Alkutub Aleilmia, Bayrut - Lubnan , 1st edition, 1415 A. H..
14. Zahrat Altfassir: Muhamad Bin Ahmed Bin Mustafaa Bin Ahmed Almaeruf Bi Abi Zahra (1394 A. H.) , Dar Alfikr Alearabii.
15. Lamasat Bayania Fi Nsuss Min Altanzil, dr. Fadil Salih Alsaamaraayiy.
16. Maeaarj Altafakr Wadaqaayiq Altadabar: Abdalrahman Hasan Hbannka Almaydanii , Dar Alqalam - Dimashq - Syria , 1st edition, 1423 A. H. - 2002 A. D..
17. Tafsir Alquran Alazim: Abu Alfida' Eismaeil Bin Omar Bin Kathir Alqurashii Albasariu Aldimashqiu (774 A. H.), Tahqiq: Sami Bin Muhamad Salamaa, Dar Tayiba Lilnashr Waltawziei, 2nd edition, 1420 A. H. - 1999 A. D..
18. Mujam Allugha Alarabia Almueasira: dr. Ahmed Mukhtar Omar, Alam Alkutub, Cairo - Egypt, 1st edition, 1429 A. H. - 2008 A. D..
19. Alsihah taj allughah wasihah alarabia: Abu Nasr Iismaeil Bin Hamaad Aljawharii Alfarabii (393 A. H.), Tahqiqu: Ahmad Abd Alghafur Atar, Dar Aleilm Lilmalayin, Bayrut - Lubnan, 4th edition, 1407 A. H. - 1987 A. D..
20. Tahdhib allugha: Muhamad Bin Ahmad Bin Al'azharii Alharawii, Abu Mansur (370 A. H.), Tahqiqu: Muhamad Awad Mureaab , Dar Eihya' Alturath Alarabi , Bayrut - Lubnan , 1st edition, 2001 A. D..
21. 'iihkam Al'ahkam Sharh Umdat Al'ahkam, Taqi Aldiyn Abu Alfath Muhamad Bin Ali Bin Wahb Bin Mutie Alqushayri, Iabn Daqiq Aleid (702 A. H.), Tahqiqu: Mustafaa Shaykh Mustafaa Wa Muddathir Sundus, Muassasat Alrisalaa, 1st edition, 1426 A. H. - 2005 A. D..

22. Hashiat Alataar alaa Sharh Aljalal Almahaliyi ealaa Jame Aljawamie, Hasan Bin Muhamad Bin Mahmud Alataar Alshaafieii (1250 A. H.), Dar Alkutub Aleilmiati.
23. Al'aathddad, Abu Bakr Muhamad Bin Alqasim Bin Muhamad Bin Bashaar Bin Alhasan Bin Bayan Bin Samaaeat Bin Farwt Bin Qutn Bin Dieamat Al'anbari (328 A. H.), Tahqiqu: Muhamad Abu Alfadl Eibrahim, Almaktabah alaasriah, Bayrut - Lubnan, 1407 A. H. - 1987 A. D..
24. Allughah Walmaenaa Walsiyaqu, Jun Laynz, Tarjamt: dr. Abaas Sadiq alwahaab, Murajaeata: dr. Ywyiyl Aziz, Dar Alshuwuwn Althaqafia Al amah - Ministry of culture and media, Baghdad - Iraq, 1st edition, 1987 A. D..
25. Alttaerifat, Abi Alhasan Ali Bin Muhamad bin Ali Alhusaynii Aljirjanii Alhanafii (816 A. H.), Hawashi Wafaharisaha: Muhamad Basil Euyun Alsuwd, Dar Alkutub Aleilmiati, Bayrut - Lubnan, 4th edition , 1434 A. H - 2013 A. D. .
26. Almisbah Almunir Fi Qharayb Alsharh Alkabir Lilraafiei, 'Ahmad Bin Muhamad Bin Ali Almaqrii Alfiuwmi, Almaktaba aleilmia, Bayrut - Lubnan.

Second: Theses, theses and Jornal:

1. The Quranic Context and Its Effect On Indicative Preference Muthana Abdul Fatah Mahmoud PhD Dissertation, Al Yarmouk University 2005 A. D..

2. The Rhetorical Context Material (Thiqla) in the Discourse of the Holy Qur'an, dr .Ammar Ismail Ahmed, Journal of Tikrit University for Humanities (2021) 28 (12).

3. Rhetorical context For laughter and crying in the Quranic discourse, Dr.Adnan.Abdul. Salam Asaad, Journal of Tikrit University for Humanities (2019) 26 (12).

4. Alsiyaq Anmatah Wa Tattbiqatuh Fi Altaabiir Alqurani, Dr.. Khalil Khalaf Bashir Al Ameri ،Journal of Al-qadisiya in arts and educational sciences, 2010, Volume 9, Issue 2.